

دفعت الاتحاد السوفياتي، في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٣، الى الاعلان عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل؛ وتمت إعادة العلاقات في العام عينه، ولكن بعد ان قدمت الحكومة الاسرائيلية تعهدات صريحة بأنها لن تنضم الى أي حلف، او ميثاق، يهدف الى الاعتداء على الاتحاد السوفياتي. وفي ظل عملية المدّ والجزر التي مرّت بها العلاقات في مستواها الرسمي، شرعت صورة اسرائيل، في الأدبيات السوفياتية، تفقد ما خلع عليها من نصاعة في المرحلة السابقة، حيث لم تعد اسرائيل هي التي عُول عليها لتكون رأس حربية في مواجهة المصالح الاستعمارية في منطقة الشرق الاوسط، بل انها غدت - حسب تعبير صحيفة «الجيش الاحمر» العام ١٩٥٣ - «مجرد دولة رأسمالية تعتمد على واشنطن»، وأصبح قادتها، في وصف للبرافدا، «مجموعة من الكلاب المتعطشة للدماء»؛ وفي وصف آخر للأرقيستيا «مجموعة من التروتسكيين والبورجوازيين الوطنيين... يبيعون وطنهم وأهلهم وشرفهم من أجل الدولار»^(٧).

وفي موازاة ذلك كله، كان المؤشر الأكثر دلالة الى تأزم العلاقات بين موسكو وتل - أبيب هو المساعي الحثيثة التي بذلتها الدبلوماسية السوفياتية للتقرب من الحركات الوطنية والانظمة الجديدة التي ظهرت في بعض دول المنطقة، وبصورة خاصة في النظامين الحاكمين في مصر وسوريا. وقد جاء الاعلان عن انشاء حلف بغداد، في أوائل العام ١٩٥٥، ليعطي جهود موسكو المبذولة في هذا الاتجاه دفعة قوية الى أمام، حيث وفرّ الاحساس المشترك، بالخطر الناجم عن تشكيل هذا الحلف الجامع المشترك المطلوب لتحقيق حدّ أدنى من التفاهم والتعاون بين هذه العواصم التي وجدت نفسها معنيّة بالوقوف في وجه الحلف. أما الثمرة العملية التي أسفرت عنها محاولات موسكو، فقد تمثّلت في صفقة السلاح التي عقدتها مصر مع تشيكوسلوفاكيا العام ١٩٥٥، والتي تبعها صفقة أخرى مع سوريا، حيث كان واضحاً ان دخول السلاح التشيكي مصر وسوريا يعني، في ترجمته العملية، دخول السوفيات الى المنطقة من غير البوابة الاسرائيلية. وعلى الرغم من ان الاتحاد السوفياتي حرص، حتى نهاية العام ١٩٥٥، على عدم جعل تقربه من بعض العواصم العربية سبباً في تدهور علاقاته مع اسرائيل، إلا ان حركة الاحداث على ساحة الشرق الاوسط بدأت، منذ العام ١٩٥٦، تفرض على الدبلوماسية السوفياتية ان تحسم أمر اختيار المعسكر الذي ستقف الى جانبه. والواقع، ان تتبّع سلسلة البيانات التي اصدرتها الخارجية السوفياتية، خلال العامين ١٩٥٥ و١٩٥٦، بشأن الوضع في الشرق الاوسط، تكشف عن ان الهاجس الأساسي الذي كان يشغل بال موسكو، خلال تلك الآونة، هو الحؤول دون استخدام الصراع العربي - الاسرائيلي ذريعة لادخال قوات تابعة للدول الغربية الى بعض أقطار المنطقة. إلا ان الظروف الاقليمية والتدخلات الدولية التي كانت تتفاعل، آنذاك، جعلت هذا الهاجس يتحوّل، في ترجمته العملية، الى الاعلان عن رفض موسكو لأية محاولة من اجل التدخل من الخارج في الشؤون الداخلية للدول العربية المستقلة^(٨).

وقد جاء العدوان الثلاثي الذي تعرّضت له مصر العام ١٩٥٦، ليفرض على الاتحاد السوفياتي ان يتقدم خطوة أخرى الى أمام، على طريق حسم خياراته ازاء المنطقة. وقد حاولت موسكو، في البداية، ان تواصل سعيها الى المحافظة على علاقاتها الوديّة مع الجانبين، وهو ما يمكن تلمّسه في البيان الذي أصدرته الحكومة السوفياتية بصدد مسألة قناة السويس، بتاريخ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٦، حيث يلاحظ ان الحكومة السوفياتية اقتصرت، في هذا البيان، على التنديد بالاجراءات التصعيدية التي تتخذها حكومتا بريطانيا وفرنسا ضد مصر بسبب تأميمها لشركة قناة السويس، وبالصمت الأميركي عن هذه الاجراءات، هذا فيما تحاشت الحكومة السوفياتية ان تأتي، في بيانها، على